

الانزياح التركيبي في شعر نازك الملائكة ديوان " شظايا ورماد " أنموذجاً

*د. حكمت علي بربهان

** ناهد كاسر شحاده

(تاريخ الإيداع ٨/٢٦/٢٠٢٥ . قُبِلَ للنشر في ١٠/٢٠/٢٠٢٥)

□ ملخص □

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة الانزياح التركيبي في ديوان " شظايا ورماد " للشاعرة نازك الملائكة، وقد تناولت هذه الظاهرة من خلال ثلاثة محاور: التقديم والتأخير، والحذف، والالتفات. شكّلت أنماط الانزياح التركيبي عند الشاعرة نازك الملائكة نقطة الالتقاء بينها وبين المتلقي. إذ أسهم التقديم والتأخير بالانحراف في نظام الجملة عن ترتيبها المألوف إلى تركيب جديدة فأنشأ دلالات وإيحاءات متنوعة أشير إليها في موضعها، كما أسهم أسلوب الحذف في إنتاج الدلالة وإبداعها، فاستطاعت الشاعرة من خلال هذا المتغير الأسلوبي تحقيق الغايات والدلالات التي قصدها، وتلبية المقتضيات التي تطلبتها شعرية الكلام، كما تمكّنت بواسطته من إشراك المتلقي في العملية الإبداعية من خلال الدفع به إلى إعمال ذهنه في تقدير المحذوف. أما الالتفات فسعى إلى الكشف عن أنماط العلاقات المتنوعة بين النصوص وإثارة عواطف المتلقي، وجاء في الغالب لغايات وأغراض أرادت الشاعرة إيصالها للمتلقي عبر هذا الأسلوب. وقد اعتمدت المنهج الوصفي المبني على استقراء ظاهرة الانزياح التركيبي بأنواعها المختلفة في شعر نازك الملائكة.

الكلمات المفتاحية: الانزياح، العدول، الانحراف، الانزياح التركيبي في ديوان " شظايا ورماد"، نازك الملائكة.

*مدرس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سورية.

**طالبة دراسات عليا ماجستير في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سورية.

Syntactic Deviation in the poetry of Nazik al-Malaika A case Study" Splinters and Ashes"

***Dr.Hikmat Ali Burbhan**

****Nahed Kaser shhadah**

(Received 26/8 /2025. 20 /10/2025)

□ **ABSTRACT** □

This Study aims to examine the phenomenon of syntactic deviation in the poetry collection *shathaya wa Ramad* (*Shrapnel and Ashes*) by the poet Nazik al-Malaika. It explores this phenomenon through three main axes: Foregrounding and Backgrounding (*al-Taqdim wa al-Iltefat*). The patterns of syntactic deviation employed by Nazik al-Malaika formed a point of convergence between her work and the recipient (reader/ audience). Foregrounding and Backgrounding deviated from the conventional sentence structure, creating syntactic arrangements that generated diverse meanings and connotations, which are discussed in their relevant contexts. The Ellipsis technique contributed significantly to the production and innovation of meaning. Through this stylistic variable, the poet achieved her intended goals and meanings, satisfied the requirements of poetic diction, and involved the recipient in the creative process by prompting him to engage his mind in determining the elided elements. As for Grammatical shift, it sought to uncover the diverse patterns of relationships between texts and to stir the recipients' emotions. It was primarily employed to convey specific purposes and messages that the poet intended to communicate to the recipient through this technique. The study adopted a descriptive approach, based on surveying the phenomenon of syntactic deviation in its various forms throughout Nazik al-Malaika poetry.

Key words: Deviation, Departure, Deviation, Syntactic Deviation in the Diwan "shrapnel and Ashes", Nazik al-malaika.

*Masters student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Latakia, Syria

**Lecturer, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Latakia, Syria.

المقدمة:

يعدّ الانزياح التركيبيّ في شعر نازك الملائكة إحدى الركائز الأساسية التي أعادت من خلالها تشكيل اللغة الشعرية العربية، مما منح قصائدها بعداً حدثياً وعمقاً نفسياً، وتكمن أهميته في الجوانب الآتية:

* كسر الجمود النحوي وتحرير اللغة الشعرية.

* تعميق الدلالة الرمزية والنفسية.

* التأسيس لشعر التفعيلة (الشعر الحر).

لم تكن الانزياحات عند الشاعرة نازك الملائكة مجرد أداة جمالية، بل كانت:

* تمرّداً على السلطة اللغوية التقليدية.

* بحثاً عن لغة جديدة تعبّر عن هوية الشعر الحديث.

* جسراً بين الذات والعالم في زمن مليء بالتحوّلات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنّه سيكشف التجديد الشعريّ، والخروج عن المألوف في اللغة لخلق لغة شعرية جديدة، وكسر التراكيب النحوية التقليدية، إذ إنّ الشاعرة استخدمت الانزياح التركيبي في شعرها، لخدمة الصورة الشعرية، والإيقاع الداخلي، ولتكون اللغة أكثر مرونة، مما أعطى شعرها طابعاً حدثياً وعمقاً نفسياً.

أهداف البحث:

- ١- الوقوف على هذه الظاهرة - الانزياح التركيبي - في شعر الشاعرة بصورها المتنوعة، وأشكالها المختلفة.
- ٢- الوقوف على جمالية الانزياح ودوره في تحقيق التأثير الانفعالي المتبادل بين كلّ من طرفي عملية الإبداع الشعريّ، الشاعرة والمتلقي.

الدراسات السابقة:

- ١- شعرية الانزياح في شعر نازك الملائكة "دراسة وتحليل"، د. شيماء عبد الحسين إبراهيم عليوي الحجامي، أستاذ اللغة العربية المساعد، مجلة المنارة العلمية، العدد الثاني، مايو، ٢٠٢١م، كلية التخطيط العمراني، جامعة الكوفة.

بنيت هذه الدراسة على مقدمة ومبحثين: يتناول المبحث الأول القسم النظريّ للانزياح حيث ضمّ تمهيداً عن مفهوم الانزياح في اللغة، ثم تطرقت إلى المصطلحات القريبة منه وكذا مفهومه في التراث العربيّ، ثم عرضت أبرز أنواعه. أمّا المبحث الثاني فأحتوى على الجانب العملي، وركّزت على الانزياح الاستبدالي، ولم تذكر الدراسة الانزياح التركيبي، وكان المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج الأسلوبي إلى جانب المنهج التحليلي والوصفي.

- ٢- الانزياح التركيبيّ في شعر محمّد بن بشير الخارجي، د. فهد بن حمّاد التميمي، الأستاذ المساعد لعلم اللغة التطبيقية، مجلة كلية دار العلوم، العدد/٤٣، ١/، يناير ٢٠٢٣م، كلية التربية، جامعة الأمير سطّام بن عبد العزيز.

بنيت الدراسة على مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الأول الانزياح بالتقديم والتأخير، وأمّا المبحث الثاني فتناول الانزياح بالحذف أو الزيادة، وقد تعرض الباحث في كل منهما بالتحليل لنماذج لكل نوع من نوعي الانزياح المذكورين في شعر محمّد بن بشير الخارجي. وانتهت الدراسة إلى خاتمة تضمنت نتائج عدة، يليها قائمة المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

٣- الانزياح في شعر الرثاء عند ابن الرومي، د. مختار عبد الحميد دعيبس، مدرّس الأدب والنقد، مجلة الدّرية، العدد الثاني والعشرون، يونيو، ٢٠٢٣م، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر. بنيت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث: يتناول المبحث الأول الانزياح التركيبي، أما المبحث الثاني فاحتوى الانزياح الدلالي، وتضمن المبحث الثالث الانزياح الإيقاعي، واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الذي يعمل على تناول النصوص الشعرية بالتحليل الدقيق، وانتهت الدراسة إلى نتائج عدة تخصّص الدراسة.

٤- الانزياح في نماذج من شعر ربيعة بن مقروم الضبيّ "دراسة أسلوبية"، علي عودة السواعير، قسم اللغة العربية وآدابها، دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥١/، العدد ٦/، ٢٠٢٤م، كلية السلط للعلوم الإنسانية، جامعة البلقاء التطبيقية.

سعت الدراسة إلى تتبع مظاهر الانزياح وتقسيماته من تركيبية ودلالية في شعر ابن مقروم، ثم إظهارها وتحليل أبعادها، فقد قسّمت إلى فصلين: الفصل الأول نظري، تناول فيه مصطلح الانزياح بغية الوصول إلى فهم دقيق له، أما الفصل الثاني فهو تطبيقي يسعى إلى تحليل توظيف الشاعر ربيعة بن مقروم للانزياح على أشكاله المختلفة في قصائده، ومدى تحقّق الشعريّة والجماليّة في قصائده، وتكمن الإضافة في هذا البحث في أنه يتناول ظاهرة الانزياح التركيبيّ لدى رائدة من رواد الحداثة الشعريّة العربية التي تعدّ إحدى مؤسسيها في العراق إلى جانب البياتي والسّياب.

منهج البحث:

سيعتمد البحث المنهج الوصفيّ المبنيّ على الاستقراء، إذ ستعتمد الباحثة إلى استقراء ظاهرة الانزياح التركيبي بأنواعها المختلفة، مما يساعد على وصف الظاهرة ودراستها في مختلف أنواعها في شعر نازك الملائكة.

المبحث الأول: مفهوم الانزياح

* الانزياح في اللغة والاصطلاح:

الانزياح لغة: الابتعاد، نقول: نزع الشيء نزحاً ونزوحاً: بعد، ونزحت الدار فهي تنزح نزوحاً إذا

بعدت (١).

١-- ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.

ونقول: نزيح أي البعيد (١).

الانزياح اصطلاحاً: يعرّف الانزياح اصطلاحاً بأنه ابتعاد نظام الخطاب عن النسق الأصل، أي خروج أصوات الخطاب/ الكلام، أو تراكيبه، أو دلالاته، أو تعابيره، أو رؤاه، أو تشكيلاته، أو صياغته..... أو بعض ذلك، أو كلاً معاً عن القاعدة الأصل في عرف علماء اللغة. "سواء في النص ذاته أم في نص معيار يقاس إليه النصّ المدروس" (٢)، فقد أوجدت اللغة "العديد من الاقترنات بين العناصر اللغوية يمثل الخروج عنها كسراً للمألوف" (٣). يمكن الخطاب من "أدبيته ويحقق للمتلقى متعة وفائدة" (٤). ويمثل الانزياح لذلك حالة من حالات الكسر اللغوي العرضي، أو الطولي، أو كليهما معاً.

فقد تعدد مفهوم الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية الحديثة، ومن الذين تطرّقوا لمفهوم الانزياح "محمد مندور" إذ يقول بأنه: "الخروج عن قواعد اللغة، وعلى المؤلف من التعبير والتكوين، ومخالفة المقاييس المتعارف عليها التماساً لجمال الأداء وروعة" (٥). وعرفه جبرو بأنه: "التغييرات التي تخيم على جو النصّ بواسطة تبعث المفردات أو التراكيب النصية، والاستعمالات المجازية التي تروم غاية دلالية أو غرضاً بلاغياً" (٦). وممن عرفوا الانزياح أيضاً جان كوهن فقال: إنّ الشعر انزياح عن قانون اللغة، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها هو انزياح" (٧). كما أنّ الطرابلسي تطرّق لمفهوم الانزياح إذ يقول: "ويستقطب المتحوّل عن اللغة نوعين على الأقل: المتحوّل المشترك: ويضمّ الاستعمالات التي شاعت في كلام منشي من المنشئين.....، والمتحوّل الخاص: ويضمّ الاستعمالات اللغوية الخاصة غير الشائعة، ولا يبرح باب الخطأ واللحن حتى يصبح شائعاً أو يندثر" (٨). كما عرفه بعضهم بأنه: "انحراف فردي بالقياس إلى قاعدة" (٩). ويشترك نقاد ولسانيون كثير في النظرة إلى الانزياح بوصفه مظهراً من مظاهر التجديد والتجريب في اللغة الأدبية، يقوم على كسر النظام المؤلف

- ١- أبادي الفيروز، القاموس المحيط، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
 - ٢- لؤلؤة، عبد الواحد، موسوعة المصطلح النقدي، المجلد الأول، دار الرشيد للنشر، منشورات دار الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م.
 - ٣- خير الدين، محمد، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٦م، ص٦٨.
 - ٤- السّدّ، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط١، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٠م، ص٥٥.
 - ٥- مندور، محمد، النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الاستاذين لانسون وماييه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص٢٦٥.
 - ٦- جبرو، بيير، د. ت، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ص٥٠.
 - ٧- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ص١٣٧.
 - ٨- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢١٧.
 - ٩- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص١٥.
- للقواعد اللغوية أو المنطق الدلالي بهدف تحقيق شعريّة النصّ وإثراء دلالاته، أمثال تمام حسان (١)، ونعيم اليافي (٢)، ويوسف أبو العدوس (٣)، وأحمد محمد ويس (٤)، ونور الدين السّدّ (٥).

من ذلك نرى أنّ هناك تقارباً بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، فكلاهما يدلان على الابتعاد عن الأصل، والابتعاد عن الطريقة المعهودة في الكلام.

ونجمل ما تقدّم أنّ الانزياح هو استعمال المبدع للغة استعمالاً يخرج بها عن المؤلف فيؤدي من خلالها ما ينبغي أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وإثارة للمتلقّي عن طريق جذب انتباهه لكسره المعيارية اللغوية بأنماط جمالية.

*الانزياح وتعدد المصطلح:

يتداخل مفهوم الانزياح مع مفاهيم وأوصاف ومصطلحات كثيرة، فقد ورد عند جان كوهن، فضلاً عمّا اعتمده من الانزياح والانحراف والخرق، لفظ آخر مرادف للانزياح هو " الخطأ"، إذ يقول: " إنّ الأسلوب خطأ، ولكنه ليس كلّ خطأ أسلوباً" (٦). فالخطأ هنا ليس خطأ نحويّاً أو منطقيّاً بالمعنى السلبي، بل هو انزياح مقصود وموظف لغاية فنية. إنّه " خطأ مبدع" يخرق نظام اللغة العادية لخلق تأثير جمالي، أمّا الخطأ العشوائي الذي يقع فيه الشخص عند جهله بقواعد اللغة، فهو خطأ يفسد اللغة، لأنه عديم الفائدة جمالياً، وقد يشوّه المعنى. فضلاً عن مصطلحات أخرى تجاوزت الأربعين مصطلحاً (٧). كما قام الدكتور عبد السلام المسديّ بحصرها في اثني عشر مصطلحاً (٨) هذه الكثرة في تعدد المصطلح ربما يعود السبب في ذلك إلى تداخل العلوم خاصة فروعها، وإلى الترجمة واختلاف المترجمين في الفهم واختلافهم في التأويل. ولكن من المؤكّد أنّ هذه المصطلحات ليست في مستوى واحد في الدلالة على المفهوم، بناءً على ذلك سيتمّ تفصيل الحديث في المصطلحات الرئيسية التي بدت لنا أنّها ثلاثة وهي الانحراف، والعدول، والانزياح.

*الانحراف:

ورد الانحراف عند نعيم اليافي على أنّه عيب فنيّ أو جماليّ: " أمّا وقد ظهر عبر التاريخ ميل إلى شعر الأشياء الخالص أو ميل إلى شعر الأفكار الخالص في مقابل بعضها بعضاً فليس ذلك سوى عيب وانحراف من طبيعة الشّعر. كذلك الانحراف الذي لاحظناه في النزعتين الرمزية

- ١- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن-دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنيّ-، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٢- اليافي، نعيم، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، طبعة وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٨٢م.
- ٣- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠م.
- ٤- ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٥- السّد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط١، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٠م.
- ٦- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص ١٩٣.
- ٧- ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص ٣٧.
- ٨- المسديّ، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.

الفرنسية والصورية الإنجليزية" (١)، وورد الانحراف قرين الخطأ وفي معناه في قول محمد المبارك: " يجب التفريق بين ما هو خطأ وانحراف، وما هو توليد وتطور" (٢). وعلى ذلك جاء قول جابر عصفور: " وهكذا تظل القوة المتخيلة قابلة للانحراف على النحو الذي ينحرف معه سلوك الإنسان، طالما تباعد العقل عنها، وصادفت مزاجاً فاسداً وفكراً مشوشاً لا يضبطه العقل أو يحكم مساره" (٣). وقد أورد محمد مفتاح هذا المصطلح مقترناً بمصطلحات أخرى في نصه الملخص لكلام جان كوهن إذ يقول: "إنّ الشعرية تتحدد بالمجاز، والمجاز فرق أو انحراف(خرق)، ويرادف عنده اللحن بمفهوم النحو التوليدي- التحويلي. ومن ثمة فهو يعترى التركيب، ولكن لماذا العدول عن الحقيقة إلى المجاز؟ تحطيم اللغة العادية (كذا) وخلق لغة سامية شعرية. على أن هناك أربعة نماذج من الخرق وهي: منطقي، ودلالي، ومعرفي، وصوتي، أي خرق لمبدأ التناقض، ولقواعد الانتقاء والمعرفة الموسوعية (٤).

*العدول:

لعل المسديّ أوّل من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح للمفهوم الأجنبيّ، وكان ذلك في كتابه الأوّل "الأسلوبية والأسلوب". غير أنّه مع ذلك لم يستعمله في كتابه آنذاك، واستعمل مصطلحاً آخر هو " الانزياح". ولكنه لم يثبت على هذا الأخير طويلاً فرغب عنه إلى العدول (٥)، وقد استعمل "العدول" غير المسديّ، نفر غير قليل من الباحثين العرب، فمنهم من كان استعماله له عرضاً، ومنهم من اعتمده في كتاباته. نذكر منهم تمام حسان، وكان على رأس من اعتمده، وحمّادي صمود، ومصطفى السعدني، وعبد الله صوله، والطيب البكوش، والأزهر الزنّاد..... الخ (٦). وينبغي التنبيه أخيراً على أنّ المصطلح، وإن كان وارداً في التراث البلاغي، قد يرد في سياقات غير بلاغية أو فنية (سياقات نحوية وصرفية، سياقات تفسيرية وقرآنية، سياقات نقدية وأدبية، سياقات لغوية عامة مثل الاتساع والاختصار)، وعلى ذلك قول الأمدي تعليقاً على بيت الجحترى:

- لا تُلْمَنِي على البكاءِ فإِنِّي
نِضُو شَجُو ما لُمْتُ فيه البكاءِ

- ١- اليافي، نعيم، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، طبعة وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٧.
- ٢- المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٤م، ص ٩٧.
- ٣- عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٣.
- ٤- مفتاح، محمد، في سيمياء الشعر القديم" دراسة نظرية وتطبيقية"، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م، ص ٥٠.
- ٥- المسديّ، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.
- ٦- المهيري، عبد القادر- المسديّ، عبد السلام- صمد، حمّادي، النظريات اللسانية والشعرية من خلال النصوص، طبعة الدار التونسية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م.

"هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل....." (١). وورد عند القاضي الجرجاني أنّ المتأخر "اجتذبه الإفراط إلى النقص، وعدل به الإسراف نحو الذم" (٢). وورد عند أبي هلال العسكري أنّ من عيوب المديح "عدول المادح عن الفضائل التي تختصّ بالنفس، من العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة" (٣). وورد عند الزمخشري "وقيل للمخطئ لاحت لآفته يعدل بالكلام عن الصواب" (٤).

*** الانزياح:**

ظهر الانزياح مصطلحاً في لغات عدّة، حيث عرف في الفرنسية بـ (Ecart)، وفي الإنجليزية (Deviation)، وفي الألمانية بالمفهوم (Abweichung) (٥). أمّا في العربية فقد اختلف النقاد في تسميته، فأوردوا له مصطلحات مختلفة، منها: التشويش، الخروج، والابتعاد، والشذوذ، والتشويه، والانتهاك، والنشاز، والانتساع (٦)، وثمة مؤشرات تدل على حضور فكرة الانزياح عند النقاد العرب، وذلك لاتخاذهم الشعر مادة لصناعتهم. ومن هؤلاء النقاد الأخفش الأكبر، إذ فضل الفرزدق على جرير وعلل ذلك بأنّ جريراً لم يهج الفرزدق إلا بثلاثة أشياء يكررها في شعره فلم يجاوز جرير هذا ولم يحسن فيه، ولا نجد للفرزدق قصيدة إلا وفيها هجاء بديع ليس في الأخرى مثله (٧).

خلاصة القول: لظاهرة الانزياح صلات قوية وجذور عميقة في التراث اللغوي والأدبي العربي، لكنّها وردت ضمن مصطلحات وظواهر تشترك في صفة أساسية واحدة هي خروجها عن المألوف، لتشكل في مجموعها ما نعرفه اليوم بمفهوم الانزياح.

*** جوهر ظاهرة الانزياح وقيمتها وأنواعها:**

تتشكل جماليات النصّ الأدبي من خلال الانزياح، كما يبرز قدرة المبدع على كسر الرتابة، وخرق المألوف، للوصول إلى جماليات الإبداع الفني. فالعرب القدماء لم يستعملوا مصطلح

١- الأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ط٢، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، مصر، ١٩٧٣م، ص ٥٥٠.

٢- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، د.ت، الوساطة بين المتبني وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصر، ص ٤٣٣.

٣- العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح: عليّ البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٩٧.

٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق عبد المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٢٣.

٥- ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤م.

٦- ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص ٩٧.

٧- المرزباني، أبو عبد الله، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

الانزياح بمفهومه الحديث إلا أنهم رصدوا الظاهرة ودرسوها تحت مسميات أخرى تتسجم مع ثقافتهم ومعرفتهم آنذاك. قال الخليل بن أحمد: "الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أتى شأؤوا، وجاز لهم ما لا يجوز لغيرهم: من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومدّ مقصوره، وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته"(١). فجوهر نظرية الانزياح هي مركز عمل كوهن، إذ الشعر عنده انزياح عن معيار هو قانون اللغة، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها. إلا أنّ هذا الانزياح لا يكون شعرياً إلا إذا كان محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول. فالانزياح المفرط يجعل منه كلاماً غير معقول، مستعصي التأويل، وبذلك تسقط عنه السمة المميزة للغة، أي "التواصل". (٢). كما قال ياكسون: "إنّ مفهوم الانزياح مفهوم معقد ومتغير لا نستطيع استعماله دون احتياط، ولهذا كنا دائماً نعمل بدءاً لأجل إقامة المعيار على قاعدة إيجابية. فنطلب من اللغة التي يكتبها العلماء أن تكون مرجعاً لنا"(٣). ويرى يوسف أبو العدوس أنّ معظم العلماء أجمعوا على أنّ الانزياح خروج عن المؤلف، أو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المبدع، أو جاء عفواً (٤). فالانزياح "جاء لإخراج اللغة من دائرة المعاني المعجمية الضيقة والمعيارية المحددة إلى دائرة النشاط الإنساني الحي"(٥).

أما قيمة الانزياح فتكمن عند عبد السلام المسديّ في أنّه يرمز إلى صراع بين اللغة و الإنسان: هو أبداً عاجز عن أن يلّم بكلّ طرائقها، ومجموع نواميسها، وكلّية إشكالها كمعطى "موضوعي ما وراثي" في نفس الوقت، بل إنّه عاجز عن أن "يحفظ" اللغة شمولياً، و هي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكلّ حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كلّ كوامنه من القوة إلى الفعل، و أزمات الحيوان الناطق مع أداة نطقه أزلية صور ملحمتها الشعراء و الأدباء مذ كانوا، و ما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة و على نفسه لسدّ قصوره وقصورها معاً(٦). ومن أنواع الانزياح لدينا نوعان رئيسيان تنطوي فيهما كلّ أشكال الانزياح. أمّا النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقاً بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن "الانزياح الاستبدالي". والنوع الآخر يتعلق بتكوين هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، سياقاً قد يطول أو قد يقصر، وهذا ما سمّي "الانزياح التركيبي"(٧).

١- القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٣م، ص٦٨٧.

٢- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦ م.

٣- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص١٨٧.

٤- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠م.

٥- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص١٨٠.

٦- المسديّ، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.

٧- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦ م.

المبحث الثاني: أنواع الانزياح التركيبي

يقصد بالانزياح التركيبي خروج الكلام عن نسقه المألوف، فالعناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب " تخضع لسلطة الطبيعة الخطية للغة التي تسيّر وفقها القوانين، و تعتمد الإجراء التألفي بين العناصر المتتالية، هذا التعاقب أو التوالي التلفظي يطلق عليها محور التركيب، و الخروج عنه يسمى انزياحاً تركيبياً (١). فهذا النوع من الانزياح يناقش طريقة الربط بين الدوال بعضها ببعض انطلاقاً من العبارة الواحدة إلى التركيب و الفقرة، فالمبدع الحق هو من يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جمالياً بما يتجاوز إطار المؤلفات (٢)، والشاعر على حدّ قول كوهن، شاعر " بقوله لا بتفكيره وإحساسه، وإنه خالق كلمات، وليس خالق أفكار، وترجع عبقريته كلّها إلى الإبداع اللغوي" (٣). ولكنّ هذا الحكم لا يؤخذ على حرفيته، فيظنّ ظانّ أنّ من طبيعة الشعر أن يخلو من الفكر. والانزياح التركيبي " لا يكسر قوانين اللغة المعيارية ليجتاز عن قوانين بديلة، ولكنّه يخرق القانون باعتناؤه بما يعدّ استثناءً أو نادراً فيه" (٤). وسنعرض لبعض الأنواع التي تشكّل الانزياح التركيبي، وهي: التقديم والتأخير، والحذف، والالتفات.

* التقديم والتأخير :

يعدّ هذا الباب من الأبواب التي طرقت من قبل العلماء العرب القدماء، إذ يقول سيبويه: " كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمنهم ويعنيانهم" (٥). وينظر ابن جنّي لهذه الخروجات على معيارية اللغة، بأنّها شهامة وشجاعة لدى الشاعر إذ يقول: " ومتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات..... فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنّه مشهود له بشجاعته وفيض منته.... إدلالاً بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه" (٦). كما عقد الجرجاني له فصلاً في مؤلفه " دلائل الإعجاز"، قدّمه بقوله: ".....ولاتزال ترى شعراً يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان" (٧).

١- البار، عبد القادر، الانزياح بين محوري التركيب والاستبدال، مجلة الآداب واللغات، العدد ٩، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ٢٠١٠م، ص ٤٩.

٢- ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص ٤٠.

٤- الرواشدة، سامح، جماليات التعبير في القرآن الكريم، ط١، الصايل للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص ٥٤.

٥- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الكتاب، ج ٣، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٤.

٦- ابن جنّي، عثمان ابو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط١، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣٩٢.

٧- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م، ص ١٠٦.

وفي هذا الصدد يقول شكري عياد إن هذا التصرف في البناء النحوي " لا يعني مخالفة القواعد، وإنما يعني العدول عن الأصل" (١). ومثل هذه العدول لا يعني عدولاً عن الأوضح إلى الأقل فصاحة، وإنما هو يعني عدولاً عن الأصل الذي يقتضيه المنطق الفطري للغة إرضاء لمؤثر آخر غير منطقي، مؤثر وجداني (٢). وهناك من اجتهد فربط بين التقديم والتأخير، وبين الحذف والإضافة، فرأى إمكانية اعتبار التقديم والتأخير " من قبيل الحذف والإضافة لأنهما يتضمنان حذف عنصر من مكانه أو موضعه وإضافته إلى موقع ليس له" (٣). كوهن، فقد سمى الانزياح الناتج من التقديم والتأخير بـ " الانزياح النحوي". وقد رأى مع جاكبسون أن النقاد وعلماء اللغة قلما تعرّفوا " على المنابع الشعرية المستترة في البنية الصرفية والتركيبية للغة أمّا الكتاب المبدعون فعلى العكس من ذلك (إذ) تمكّنوا في الغالب من أن يستخلصوا منها فوائد جمة" (٤). كما سمى كوهن الانزياح الذي يقوم على التقديم والتأخير بـ "القلب"، إذ يقول: ينبغي لكي ينتج القلب أثره أن نعطيه ذلك الاتساع الذي تشير إليه البلاغة باسم الاعتراض.

*الحذف:

يعدّ الحذف من الظواهر الأسلوبية التي تعكس جمالاً على النصّ الشعري، إذ يقول سيبويه: " اعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً" (٥). وكما يقول ابن جني: " فلولا أنّ المحذوف إذا دلّ الدليل عليه بمنزلة المثبت، لكان هذا كسراً، لا زحافاً، وهذا من أقوى وأعلى ما يحتجّ به، لأنّ المحذوف للدلالة عليه بمنزلة الملفوظ به البتّة،

فاعرفه، واشدد يدك به" (٦). وقد عبّر عنه الجرجاني بقوله: "..... فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبين" (٧). فالحذف إحدى الآليات التي يلجأ إليها المبدع في توفير أفق التوقعات، مشركاً القارئ في عملية إعادة إنتاج النص في خلق المتعدد من التأويلات-أحياناً- للمتلقى الواحد، علاوة على التغيرات في التأويل مع التغيرات في الثقافات القبلية المتعددة والمتباينة بتعدد المتلقين، وقد تتجاوز عملية الإشراف إلى الإقحام وتبني الآراء حتى في المسائل النحوية، وذلك واضح في تعدد المدارس النحوية، وتقدير المحذوف وتأويله.

١- عياد، شكري محمد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م،

٢- عياد، شكري محمد، اللغة والإبداع، ص٧٥.

٣- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٧.

٤- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ص٣٢.

٥- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الكتاب، ج٣، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٩٧.

٦- ابن جني، عثمان ابو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط١، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٨٩.

٧- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م، ص١٤٦.

فالحذف سمة من سمات القصيدة الحديثة، ومظهر من مظاهرها الإبداعية التي تعمل على استثمار الطاقات التعبيرية الهائلة التي تزخر بها اللغة العربية. حتى إنّ بعض البلاغيين يرجعون أصل بلاغة اللغة إلى الحذف، فيقول الدكتور محمد أبو موسى: " وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشده إليه سياق الكلام، أو دلالية الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على نكاء القارئ والسامع، وتعمل على إثارة حسّه وبعث خياله، وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة، ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير" (١).

*الالتفات:

الالتفات من الظواهر التي تتدرج ضمن ظاهرة الانزياح، وذلك لمخالفته المألوف وما يحدثه من مفاجأة المتلقي. فقد درس علماء البلاغة الالتفات ضمن ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر، وذلك أثناء تتبعهم لموضوعات علم المعاني. يرى ابن المعتز أنّ الالتفات هو " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك (٢). وقد أدرك القدماء قيمته في النص وما يحدثه من أثر في نفس المتلقي، فالزمخشري يرى أنّ: "الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد" (٣). كما أشار الزمخشري إلى أنّ "العدول من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى المتكلم، يسمّى النفاثاً في علم البيان" (٤). وذهب السكاكي إلى أنّ "الحكاية والخطاب والغيبة ينقل كلّ واحد منها على الآخر ويسمّى هذا النقل النفاثاً عند علماء علم المعاني، والعرب يرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملاً باستدراة إصغائه" (٥). وجعل العلوي الالتفات نوعاً من علم المعاني، وعرفه بأنه الانتقال من صيغة إلى أخرى، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب، وقال بأنه قد يلقّب بـ "شجاعة العربية"، ومعناه في اصطلاح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول (٦). كما ورد مصطلح الالتفات عند بعض البلاغيين تحت ظاهرة (خروج الكلام عما يقتضيه الظاهر) وهو من أبرز صور العدول وأشهرها، وذلك لأنّه يخرج بالبنى التركيبية التي يتطلبها السياق إلى بنى تركيبية أخرى. فقيمة الالتفات البلاغية أنّه يأتي بغير المتوقع لدى القارئ أو السامع، فيؤدي إلى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي، ويبعد عن المتلقي ما قد يصيبه

١- أبو موسى، محمد، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٥٣.

٢- ابن المعتز، عبد الله أبو العباس، البديع، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٥٢.

٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق عبد المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥٦.

٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التأويل، ص٩٧.

٥- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي، ١٩٨٧م، مفتاح س العلوم، ط٢، ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٩٩.

٦- العلوي، يحيى بن حمزة، د. ت، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت.

من ملل نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التعبير. من خلال ما تقدّم يتضح لنا أنّ الالتفات لم يتوقف عند حدّ الزينة أو الجاذبية في النص، بل له "أهمية كبيرة في تحقيق المعنى، ومنحه جماليات إضافية لا تتأتى له إن ظلّ الكلام يسير على خط ثابت لا يخرج عنه" (١). وعلى الرغم من اختلاف نظرة البلاغيين إلى أسلوب الالتفات، إلا أنهم جميعاً يتفقون على أنه نوع أو ملمح من ملامح العدول، أو الانحراف، أو ما يسمّى في المفهوم الحديث الانزياح.

-المبحث الثالث: الانزياح التركيبي في شعر نازك الملائكة

*التقديم والتأخير في شعر نازك الملائكة:

فقد شاع هذا النمط في شعر نازك الملائكة، فقدّمت الشاعرة، قدّمت المفعول به على الفاعل، كما قدّمت شبه الجملة على الفعل، وقدّمتها على الفاعل، وقدّمتها على المفعول به، كما قدّمت الخبر على المبتدأ، وقدّمت خبر (كان) الناقصة على اسمها، وقد تضمن ديوان "شظايا ورماد" هذه الظاهرة.

*تقديم المفعول به على الفاعل: مثال ذلك قول الشاعرة في قصيدتها "عندما انبعث الماضي"

وانقضى عامان ملعونان من أعوام حبّي

مرّقت روعي أظفارهما، روعي وقلبي

تقديم المفعول به "روعي" على الفاعل "أظفارهما" يجعل الذات ضحية تعرض أولاً قبل معرفة المعتدي "أظفارهما". وهذا يعكس حالة الشاعرة فهي تشعرنا بالتمزّق أولاً، ثم تكتشف أنه ناتج عن "أظفار" الحب القاسية، فهو انزياح مجازي يجعل الزمن كائناً حياً بمخالب. فالتقديم هنا هو انزياح بلاغي محكم يحقق أغراضاً نفسية وجمالية عميقة.

ونحو قول الشاعرة في قصيدتها "كبرياء"

-لو رأتها الحياة قالت: هدوء وادع في براءة وسكون

تقديم المفعول به (الضمير "الهاء" في الفعل "رأتها") على الفاعل (الحياة)، يخلق إحساساً بأنّ مجرد رؤية هذا المعشوق (ولو من قبل الحياة) كافية لأن تترك أثراً فيها وتستنزج إعجابها وانبهارها به.

*تقديم شبه الجملة على الفعل: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضائعة"

-وفي حلمي صحت: أين أسير؟ فردّ صدىً: قرب يوتوبيا!

تقديم شبه الجملة "وفي حلمي" على الفعل "صحت" يظهر انكسار الحدود بين الواقع والخيال، وكأنّ الشاعرة حبسية حلم لا تفيق منه، مما يعمّق شعور التناقض بين اليقظة والمنام، هذا الانزياح يجسّد ضياع المرجعيّات: فلا اليقظة تحررها من الحلم، ولا الحلم يريحها من سؤال الواقع (أين أسير؟).

١- الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر، إربد، الأردن، ١٩٩٩م، ص ١١٨.

٢- الملائكة، نازك، ديوان، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م.

وكان أمامي ممر غريب تغلفه دقات الضباب

تقديم خبر "كان" شبه الجملة، الظرف أمامي، على اسم كان "ممر"، يبرز حالة التوتر أو الغرابة التي يعيشها المتكلم، فيتلقي القارئ أولاً فكرة "الوجود الأمامي" ثم يكتشف أنه "ممر غريب" مما يعمق الإحساس بالغموض. ويعكس حالة الشاعرة النفسية المضطربة والملبئة بالحيرة والدهشة، فالنقد حوّل التركيب النحويّ إلى أداة تعبيرية تزيد المعنى عمقاً وتأثيراً.

ونحو قول الشاعرة:

هناك طوّفت ذات مساء وكان معي هيكل كالسراب

تقديم خبر "كان" شبه الجملة، الجار والمجرور "معي" على اسم كان "هيكل" ليبرز حالة المصاحبة الغامضة قبل الكشف عن المصاحب "هيكل"، وليوحي بأن وجود "الهيكل" امتداد الذات، وكأنه جزء من كيان الشاعرة قبل أن تسمّيه. كما أنّ التقديم يحقق تناغماً مع التشبيه "كالسراب"، فالهيكل ليس ملموساً بل هو ظلّ أو خيال، لذا بدأت الشاعرة بذكر المصاحبة قبل الكشف عنه، وهذا ما عزّز فكرة الالتحام بين الذات والسراب.

* الحذف في شعر نازك الملائكة:

هو إسقاط لأحد عناصر التركيب اللغوي، هذا الإسقاط له أهميته في النظام التركيبي للغة، إذ يعدّ من أبرز المظاهر الطارئة على التركيب. وقد واكب هذا الباب أشعار نازك الملائكة، وسنقتصر الدراسة على حذف الفعل، وحذف الحال، وحذف اسم كان، وحذف المضاف إليه.

* حذف الفعل: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضائعة"

دقائق.....ثم أخيب وأهتف

لا شيء يشبه يوتوبيا

حذف الفعل بعد "دقائق" الذي من الممكن تقديره بـ "تمضي، تمرّ، تضيع....." يوحي بأنّ الدقائق نفسها هي سبب الإخفاق، وكأنّ الزمن يدكّر الشاعرة بسقوط أحلامها، انزياح الحذف يخلق إيقاعاً منقطعاً يعكس التشظّي، ويحاكي سقوط جدار الزمن أمام صدمة الواقع.

* حذف الحال: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضائعة"

وفي حلمي صحت: أين أسير؟ فردّ صدى: قرب يوتوبيا!

فقد حذف الحال "قائلاً" في الشطر الثاني، والتقدير: فردّ صدى قائلاً... ليضفي غموضاً شعرياً مع بقاء دلالتها إذ جعل الصدى كائناً ناطقاً يجيب.

* حذف اسم كان: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "عندما انبعث الماضي"

سمعت روجي في إغفاءة الظلمة صوتاً

لم يكن حلماً خرافيّ السّور

حذف اسم كان هنا الذي يفهم من السياق أنّه يعود على لفظة "صوتاً" المذكور سابقاً. هذا الانزياح لا يخالف القواعد النحوية (فحذف اسم "كان" جائزاً إذا دلّ السياق عليه). ولكنه انزياح فني يحقق الإيجاز والغموض وتأكيد النفي، فانزياح الحذف يخلق صورة لحم مزيف خلف ستائر الظلمة، لكن الصوت اخترق هذه الستور، وظهر كحقيقة.

* حذف المضاف إليه: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "كبرياء"

ومئات الأسرار تكمن في دم - عة حزن تلوح في مقلتين

فقد حذف المضاف إليه "عينين" في "مقلتين" إذ الأصل: مقلتي عينين، فقد جعلت التركيز على "المقلة" كرمز العاطفة، لا على العين الجسدية، إذ إن مقلة العين تحمل دلالة الجزء الأكثر حساسية في العين مما يعمق فكرة تركيز الألم. هذا التحويل من المعنى الحرفي إلى المعنى الرمزي هو جوهر الانزياح في الشعر الحديث.

* **حذف نون يكن:** مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "جود"

- إن يك العقل يمقت الانفجار
- فأنا حلّ منه.... يا للعار!

حذف النون يجعل العبارة "إن يك" أكثر إحكاماً وسرعة، وقد يعكس صورة "انفجار" داخلي أو قلق، متناغماً مع معنى البيت.

* **الالتفات في شعر نازك الملائكة:**

يعدّ الالتفات من الظواهر الأسلوبية التي تعكس جمالاً على النصّ الشعريّ، فقد وردت ظاهرة الالتفات بثتى أنواعها في ديوان "شظايا ورماد" إذ أسهمت مع الظواهر الانزياحية الأخرى في تقوية الإحساس الجمالي بالنص.

* **الالتفات الفعلي:** مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضائعة"

- فصحت بصوت حبيس: دعوني
- أموت على باب يوتوبيا

التنقل بين الأزمنة من الماضي "صحت" إلى الأمر "دعوني" إلى المضارع "أموت" يخلق ديناميكية تعبيرية، ويحدث تنوعاً إيقاعياً يمنع الجمود، فالماضي "صحت" يشير إلى حدث وقع وانتهى، مما يخلق مسافة سردية بين المتكلم والحدث، والأمر "دعوني" يظهر تمرداً وإحاحاً، كصرخة تطلب التحرر من قيد "الصوت الحبيس"، والمضارع "أموت" يوحي بأنّ الرغبة في الموت ليست لحظة عابرة، بل حالة مستمرة تعكس يأساً عميقاً أو إصراراً على التضحية.

* **الالتفات العددي:**

* **الالتفات من المفرد إلى الجمع:** مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "جود"

- بل أنا آفاق من شعور عنيف
- وأنا أعماق من خضمّ مخيف

الالتفات من "أنا" المفردة إلى "آفاق" و "أعماق" الجمع، هو تقنية بلاغية مكثفة حوّلت الذات الفردية إلى كون شاسع وعميق، فالشاعرة جسدت المشاعر المجردة (شعور عنيف) والأحاسيس (خضمّ مخيف) بتحويلها إلى كيانات مكانية شاسعة وملموسة (آفاق، أعماق). هذا يجعل المعنى المجرد مرئياً ومحسوساً بقوة. فالذات هنا ليست هامشية، بل قوة كونية جارفة تثير الإعجاب والخوف معاً. مما أعطى بعداً كونياً لمشاعرها العنيفة والمخيفة، وعبر عن ثرائها وتعقيدها وفرادتها بطريقة رمزية قوية ومؤثرة.

* **الالتفات من الجمع إلى المفرد:** مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "صراع"

- منحت عيوناً تحبّ الدموع
- وروحاً تعترّ فيما يريد
- وقلباً يحبّذ أن يطعنا
- فمخّ الظلام وعاف السنا

الانتقال من الجمع "عيوناً" إلى المفرد "قلباً، روحاً" يحول التركيز من وصف عام (الدموع التي تسيل من العيون، والتي قد تكون نتيجة للألم) إلى تجربة داخلية أكثر خصوصية (القلب والروح) باعتبارهما مصدر الألم الحقيقي والعميق. هذا يعني أنّ الالتفات إلى المفرد يبرز تفرّد هذه المعاناة وشدّتها. كما أنّ الانتقال من الجمع إلى المفرد يعزز

شعور الشاعرة بوحدتها في مواجهة ألمها الداخلي الشديد، وصراعاتها الروحية، واغترابها عن نور الحياة (عاف السنأ). هذا الانزياح يخلق إحساساً بالعزلة الوجدانية، والتركيز على المعاناة الشخصية الفردية للشاعرة.

*الالتفات النوعي "الضميري":

*الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضائعة"

-وفي حلمي صحت: أين أسير؟
فردّ صدىً: قرب يوتوبيا!

الضمير المتصل في الفعل "صحت" يعود على الذات، كما أنّ الضمير المستتر في الفعل "أسير" يعود على الذات، وكأنّ الشاعرة تحدّث نفسها، ثم تعود إلى ضمير الغيبة (الصدى الغائب). هذا التحول يحدث التفاتاً درامياً، كحوار بين الذات والعالم الخارجي.

*الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "لنكن أصدقاء"

لفظتهم شفاه الحياه

إنهم أشقياء

فلنكن أصدقاء

الانتقال من ضمير الغائب (لفظتهم، إنهم) إلى ضمير المتكلم الجماعي (فلنكن) يحدث انزياحاً مفاجئاً في السياق، مما ينشط ذهن المتلقي، ويجنّب الملل الناتج عن استمرار أسلوب واحد. هذا الالتفات يضيف طابعاً حميمياً، ويجعل المتلقي شريكاً في الموقف بدلاً من كونه مشاهداً سلبياً. مما يعزّز الإقناع ويحدث تأثيراً عاطفياً عميقاً، ويبرز قدرة الشاعرة على توظيف التراث البلاغي العربي لخدمة رؤيتها الفنية والإنسانية.

*الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب: مثال ذلك قول نازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا

الضائعة"

-فصحت بصوت حبيس: دعوني
أموت على باب يوتوبيا

الالتفات من المتكلم إلى المخاطب يخلق حيوية درامية، ويجعل المتلقي طرفاً مباشراً في المشهد، مما يعكس تحولاً نفسياً وجدانياً من المعاناة الصامتة أو المحبوسة إلى الاحتجاج الصارخ والنداء الملح للتحرر والانطلاق، حتى لو كان الثمن هو الموت على عتبة يوتوبيا. وهو ما يعطي البيت قوّته التعبيرية ودراميته المؤثرة.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة ظاهرة الانزياح في شعر نازك الملائكة تناوياً أسلوبياً، ووقفت على نماذج لظاهرة الانزياح التركيبي في التراكم الشعري، فكانت أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة:
*الانزياح مفهوم معقد، وواسع، قد يلتقي في استعمالاته مع مصطلحات أخرى تختلف باختلاف فكر أصحابها، وثقافتهم.

*تعدّ ظاهرة الانزياح سمة بارزة في الشعر الحديث، وهذا ما بيّناه من خلال دراسة شعر نازك الملائكة.

*لا بدّ من الربط بين البنية العميقة للتراكيب والبنية السطحية، ليظهر من خلال ذلك جماليات التركيب النحويّ.

* ليست ظاهرة الحذف مجرد إسقاط للكلمات أو العناصر اللغوية بدافع الاختصار، بل إنّها تسهم في إثراء

الدلالة وتزيد من حيوية النصّ وجماليته.

- *تعدّ ظاهرة التقديم والتأخير الآلية التي تتحول بها الجملة من مجرد ناقل للمعلومة إلى لوحة فنية تحمل دلالات عميقة فهي أداة للتأكيد وإبراز المعنى.
- *تسهم ظاهرة الالتفات في مرونة اللغة العربية، وقدرة المتكلم على التحكم في أدواتها لخدمة المعنى، فالتنقل في الضمير يوحي بما لا يحتاج إلى شرح طويل.
- *إنّ الانزياحات في شعر نازك الملائكة يمنح المتلقي مساحة واسعة للتأويل وتعدّد القراءات وتنوّعها.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

- ١- ابن جنّي، عثمان ابو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط١، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٢- ابن المعتز، عبد الله أبو العباس، البديع، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٤- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠م.
- ٥- أبو موسى، محمد، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٦- الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ط٢، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، مصر، ١٩٧٣م.
- ٧- البار، عبد القادر، الانزياح بين محوري التركيب والاستبدال، مجلة الآداب واللغات، العدد ٩، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ٢٠١٠م.
- ٨- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م.
- ٩- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتبني وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصر، د.ت.
- ١٠- جيرو، بيير، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان، د.ت.
- ١١- حسّان، تمام، البيان في روائع القرآن-دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني-، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ١٢- خير الدين، محمد، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٦م.

- ١٣-ربابعة، موسى، *الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها*، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤م.
- ١٤-الرواشدة، سامح، *جماليات التعبير في القرآن الكريم*، ط١، الصايل للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- ١٥- الرواشدة، سامح، *فضاءات الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل*، المركز القومي للنشر، إربد، الأردن، ١٩٩٩م.
- ١٦-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تح: عبد الرزاق عبد المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٧-السّدّ، نور الدين، *الأسلوبية وتحليل الخطاب*، ط١، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٠م.
- ١٨-السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي، *مفتاح س العلوم*، ط٢، ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٩-سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، *الكتاب*، ج٣، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٢٠-العسكري، أبو هلال، *الصناعتين*، تح: عليّ البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٢١-عصفور، جابر، *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٢٢-عياد، شكري محمد، *اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي*، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٣-العلوي، يحيى بن حمزة، *الطرار لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
- ٢٤-فضل، صلاح، *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته*، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٢٥-آبادي الفيروز، *القاموس المحيط*، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- ٢٦-القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن عليّ الحصري، *زهر الآداب وثمر الألباب*، تح: عليّ محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٣م.
- ٢٧-كوهن، جان، *بنية اللغة الشعرية*، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م.
- ٢٨-لؤلؤة، عبد الواحد، *موسوعة المصطلح النقدي*، المجلد الأول، دار الرشيد للنشر، منشورات دار الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م.
- ٢٩-المبارك، محمد، *فقه اللغة وخصائص العربية*، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٤م.
- ٣٠-المسديّ، عبد السلام، *الأسلوبية والأسلوب*، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.
- ٣١-المرزباني، أبو عبد الله، *محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء*، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- ٣٢-مفتاح، محمد، *في سيمياء الشعر القديم" دراسة نظرية وتطبيقية"*، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.
- ٣٣-*الملائكة*، نازك، ديوان، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م.

- ٣٤- مندور، محمد، *النقد المنهجي عن العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة*، مترجم عن الاستاذين لانسون وماييه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
- ٣٥- المهيري، عبد القادر- المسدي، عبد السلام- صمد، حمادي، *النظريات اللسانية والشعرية من خلال النصوص*، طبعة الدار التونسية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م.
- ٣٦- ويس، أحمد محمد، *الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية*، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٣٧- اليافي، نعيم، *مقدمة لدراسة الصورة الفنية*، طبعة وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٨٢م.